

القرآن في كتابات اللاهوتيين المسيحيين 1500-1700م

The Holly Quran in the Christian Theorists Writing 1500-1700.

قرباش بلقاسم¹

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

Kerbecb@gmail.com

تاريخ الوصول: 2020/03/19 القبول: 2021/02/28 النشر علي الخط: 2021/06/15

Received: 19/03/2020 Accepted : 28/02/2021 Published online : 15/06/2020

ملخص:

تتناول الورقة التالية تاريخ ترجمة القرآن في أوروبا المسيحية الحديثة، ونظرة المنظرين اللاهوتيين الأوروبيين للقرآن. بالنسبة للمنظرين المسيحيين فإن ترجمة القرآن لم تكن موجهة لدراسة الإسلام بقدر ما كانت خدمة "الرب" وحماية "المؤمنين" المسيحيين من الدين الجديد الذي أصبح يهدد أوروبا ممثلاً في الدولة العثمانية، ولهذا جاءت ترجمات القرآن كلها هادفة لنقد القرآن وإظهاره ككتاب بشري اخترعه النبي محمد [صلى الله عليه وسلم].

إن الإشكالية الرئيسية لدراسة الموضوع هو أزمة الرفض للآخر التي كانت تمر بها أوروبا؛ فحتى القرن السادس عشر لم يكن هناك شيء في المخيال الأوروبي إسمه التسامح الديني "عالم واحد، راع واحد، ديانة واحدة"، لكن مع بزوغ عصر الأنوار وبداية ما يعرف "بتحرر العقل الأوروبي" بدأ يظهر هناك إنصاف للإسلام حيث طالب العديد من الكتاب بالمساواة بين مختلف الطوائف الدينية وجعل "الإنسان" محورا لبناء الدولة الحديثة، ففي إنجلترا رأى لوك أنه لا فرق بين مسيحي، يهودي ومسلم وليدخل الجميع تحت غطاء الكومنويلث. الكلمات المتاحة: القرآن؛ الإسلام؛ أوروبا الحديثة؛ البروتستانت؛ الكاثوليك؛ ترجمة؛ العثمانيون.

Abstract :

The paper discusses the History of the Holly Quran's Translation in Modern Europe and the Church's vision towards Islam and its Need to understand it. Quran's translation was initially dedicated for the God's sake for that the Christian Theorists was protecting Christians from the new religion which was threatening Europe in the Ottoman state. In that matter Quran translation's target was to critic, demine and humanize Quran by assigning it to the prophet Mohammad [peace upon him]. The subject is setting the light on the Problematic other's refusal that was growing in Europe. Even in the 16th century the European biggest concern is to unify the world; "one world, one God, one King", neglecting any promotion for the religion toleration. Thus by the Rise of the 18th people became more open minded and free to express their thoughts, and Islam was more valuable, New writers have appeared to reclaim equality between all the religious sects, and to praise the humanistic investment to build the new state. As for the English system Luke was convinced that there is no difference between a Christian, a Jewish, and a Muslim, everyone is allowed to be part of the common wealth.

Keywords: Quran, Islam, New Europe, Protestant, Catholic, Translation, Ottomans.

1. مقدمة:

هناك حقيقتين سياستين جاءت من العصور الوسطى لتعتلي أوروبا القرن السادس عشر: أول حقيقة كانت صعود الدول الحديثة؛ فبعد أن وضعت الكنيسة في العصور الوسطى المؤسسات الماركنتيلية وملاك الأرض الارستقراطيين، كسمتاحة لقوة اقتصادية في أوروبا؛ فإن هاته القوتين الاجتماعيتين كدّست مبالغ ضخمة من الثروة، ذلك أن الاقتصاد وسياسة المنفعة الشخصية، أصبحت ميزة العالم الحديث. الحقيقة الثانية: تأتي من العثمانيين؛ فخلال الفترة الوسيطة إستقر الاسلام أمام باب المسيحية، لكن بعد حروب الاسترجاع 1492، أظهر العثمانيون تهديدا خارجيا كبيرا للسيطرة المسيحية (Reeves, 2000, p. 173) وبسبب النمو المستمر للعثمانيين، فإن البابا، الامبراطور والمنظرون البروتستانت، أمثال: مارتين لوثر، جون كالفن، حدّروا أوروبا من تنامي تهديد الاسلام. وإذا كان المنظرون يرون في التوسع العثماني [الاسلام] تهديدا؛ فإن السياسيين رأوا في ذلك تهديدا وفرصة لتثبيت السلطة. إن التوسع المستمر للقوة العثمانية غربا ووصولهم فيينا سنة 1529م، خلق نوعا من التفكير الديني التشاؤمي، فلوثر في عمله "حول الحرب ضد الأتراك" 1529، أكد "أنّ الأتراك خدمة الشيطان... لم يحتلوا فقط الأرض والعباد بالسيف؛ بل شوّوها ديانتنا المسيحية وسيدنا عيسى المسيح..." (Luther, 1529).

2. الترجمات اللاتينية للقرآن 1143-1550:

اعتقد المترجمون أن القرآن لا يمكن نقله إلى لغة أخرى نظرا للسياق اللغوي الذي لا يتوافق مع أي لغة غير العربية، لكن ورغم هذا إلا أن الترجمات ظهرت منذ بداية التوسعات الإسلامية، "أول ترجمة للقرآن كانت من قبل سلمان الفارسي خلال القرن السابع، كما ظهرت ترجمة أخرى كاملة سنة 884 (سينده، الهند، باكستان حاليا) من قبل عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بعد طلب الهندي راجا ميهروك ترجمتها".

ظهرت أول ترجمة للقرآن باللغة اللاتينية سنة 1143 لصاحبها روبرتوس كيتينينسس *Robertus Ketenensis* تحت عنوان "قانون محمد النبي المزيف *Lex Mahumet pseudoprophete*" (Oliver, 2006, p. 667)، وقد لعب بيتر الموقر سنة 1142 دورا كبيرا في إقناع روبرتوس في تكوين فريق يختص بترجمة الأعمال العربية، وكان الهدف من هذا هو توفير مادة "خبرية باللاتينية" عن الإسلام لنقده. (Bosworth, 2006, pp. 45-67) وفي مقدمته للنسخة المترجمة أشار روبرتوس لعدم إعجابه "بالمسلمين"، وقد جاب هذا الكاتب أوروبا مترجما العديد من الكتب العلمية العربية.

قرن بعد هذا ظهرت ترجمة أخرى باللاتينية لماركيس دي تيليدو *Marcus of Toledo*؛ ورغم أن الترجمة لم يكن لها نفس التأثير الذي أحدثته الترجمة الأولى، لكن يبدو أن أندري دي راير قد إستخدم هذه الترجمة كمصدر لترجمته للقرآن إلى العربية "قرآن محمد" التي صدرت في باريس سنة 1647. (Ahmad, 2002, p. 10).

وترجم إلى اللاتينية سنة 1448 اليهودي المتحول للمسيحية فلافيوس ميثيديت الملقب بجويليلموس رايونديس دي مونتيكاتيرو السورتين رقم 21 و22 من القرآن لصالح فيديريغو دا مونتي فيلتر دوق إيرينو، وظهرت الترجمة بجانب السورتين باللغة العربية، مرفوقة بتعليقات على مخطوطة فخمة لا تزال ليومنا هذا محفوظة في الفاتيكان. (David Thomas, 2014, p. 25).

كان بيبلايندر شخصية مركزية في المعلومات البروتستانتية حول الإسلام والأتراك، وفي سنة 1543، طبعت لأول مرة بالطباعة ترجمة لاتينية للقرآن يبازل بطلب من بيبلايندر، الذي كتب مقدمتها "إنذار القاريء" حسب، وتعود الترجمة للأهوتي فليب ملانشتون *Philip Melanchthon*؛ الذي أخذ النص عن ترجمة روبرت كيتينينسس التي تعود للقرن الثاني عشر، بعنوان "قانون محمد [صلى الله عليه وسلم] النبي المزيف" *"Lex Mahumet Pseudoprophete"*. (Anders, 2015, p. 23)

3. القرآن في اللغات المحلية الأوربية 1600-1700م:

بالنسبة للإسلام فقد لُحِص في مجموعات تصوّرات في المخيال الأوربي: أولاً: محمد [صلى الله عليه وسلم]، وظهر الرسول [صلى الله عليه وسلم] كثيراً في الأعمال الأوربية مختصراً المسلمين في عبارات *Mohamatins*، ثانياً: القرآن، صوّر الأوربيون الهوية الإسلامية في إعتمادهم على القرآن، ولهذا أصبح هذا الأخير إشكالية رئيسية لنقد الإسلام، وباعتبار أنه لا يوجد دين سماوي لا يركز على أمرين: الرسول والكتاب المقدس، رأى الأوربيون أن يدحضوا نبوة محمد وسماوية القرآن، ثالثاً: الأتراك أو المغاربة، إختصر الأوربيين الإسلام في الأتراك وفي أحيان أخرى في المغاربة، مرتكزين في ذلك على الخوف من تهديد الدولة العثمانية، ولهذا كثيراً ما نجد مصطلحات حرفية ترمز إلى معنى آخر "تحول إلى تركي أو مغربي" *Turn'd Turk or Moor* بمعنى إعتق الإسلام. (Matar, pp. 284-300)

اعتمدت الترجمات الأوربية الحديثة للقرآن على الترجمات اللاتينية وفي أحيان أخرى على العربية. "إن أول ترجمة فرنسية للقرآن ظهرت سنة 1647 من قبل أندري دي راير بعنوان "قرآن محمد" عن اللغة العربية (Ryer, 1647)، وتعتبر ثالث ترجمة ظهرت في العالم الغربي بلغة محلية، وحمل الكتاب العديد من الأخطاء والمغالطات في الترجمة، سنتين بعدها ظهرت الترجمة الإنجليزية للقرآن لصاحبها ألكسندر روس والتي اعتمدت على الترجمة الفرنسية لأندري دي راير، وجاءت الترجمة بعنوان: "قرآن محمد" مترجم من العربية إلى الفرنسية من قبل السير دي راير، لورد ماليزر، مقيم الملك الفرنسي في الإسكندرية، ترجمة جديدة للإنجليزية لكل تلك الرغبات لإكتشاف التفاخر الزائف للأتراك..."، وتم إعادة نشره سنة 1688م. (Anders, 2015, p. 127)

يمكن لقراءة سريعة في الترجمات الأوربية تظهر أن الأوربيين طالما رأوا أن القرآن يرتبط بمحمد [صلى الله عليه وسلم]، ولا يعدو أن يكون كتاباً اخترعه الرسول [صلى الله عليه وسلم]، محاولين إبعاده عن المسيحية، وجعله مجرد عمل "حالم أحلام" *Dreamers of Dreams* كما تسميه أغلب كتابات المنظرين الأوربيين.

ومن جهة أخرى فإن التعمق في هذه الترجمات، يظهر أن ترجمة القرآن وحتى قراءته إنحصرت في رجال الكنيسة والمنظرين الكبار، ففي سنة 1530 قام الناشر باغانينو باغانيني من البندقية بنشر القرآن باللغة العربية -يبدو أنها أول طبعة للقرآن باللغة العربية ظهرت في أوربا -، وأحرقت هذه الطبقات على الفور بأمر من البابا. (Ahmad, 2002, p. 7) لم يتبقى من هذه الطبعة سوى نسخة واحدة تم إكتشافها سنة 1987، وكان الهدف من هذه الطبقات تصديرها إلى الدولة العثمانية؛ خاصة وأن البندقية كانت أكثر الدول الأوربية تعاملًا مع العثمانيين خلال نفس الفترة. (Angela, 1990, p. 183)

يبدو أن أغلب السكان الأوربيين لم يكونوا يجيدون الكتابة والقراءة، كما أنّ القليل من المخطوطات كانت منتشرة في أماكن انحصرت في يد طبقة النخبة فقط، وخلال هذه الفترة فإن القرآن في كتابات الأوربيين لم يكن يعني نفسه "القرآن الكتاب المقدس

الذي يختص بالإسلام؛ وإنما كان بالإمكان أن يشير إلى أي شيء غير مرغوب فيه، "مخزٍ وكتاب هرقطة". تعود أول ترجمة للقرآن بلغة أوربية محلية غير اللاتينية لخوان أندري الكاستيلي سنة 1515 الذي إرتد من الإسلام إلى المسيحية، وأصبح قسا مسيحيا، لكن هذه الترجمة فقدت، ونشر نفس الكاتب بعدها عملا أسماه *Confusión o Confutación de la secta mahomética y del alcorán* نقد فيه خوان أندري القرآن بهدف تشجيع المسلمين -خاصة أهل الأندلس- على التحول إلى المسيحية لكن محكمة التفتيش قامت بمنع العمل نظرا لكثرة الإقتباسات من القرآن؛ ولم يمنع هذا الحظر من إنتشاره، فترجم إلى الإيطالية تحت عنوان: "*Opera chiamata confusione della setta Machumetana*" سنة 1537 بالبندقية وتم إعادة طبعه 1540، 1545، 1597، ومن الإيطالية تم ترجمته إلى اللغة الفرنسية 1574 بعنوان "التشكيك في طائفة محمد"، وبنفس العنوان "*Confusio sectae Mahometanae*" إلى اللغة اللاتينية سنة 1595، وترجم سنة 1580 إلى الهولندية تحت عنوان "*Een zeer wonderlycke ende waerachtighe historie van Mahomet*" وفي سنة 1598 ظهرت النسخة الألمانية بعنوان "*Confusio Sectae Mahometanae: darinnen deß Mahomets Ursprung, Ankunfft, Leben vnd Tod*" (Grace, 2010, p. 139)

ويعتقد آخرون أنّ أول ترجمة للقرآن بلغة محلية أوربية غير اللاتينية كتبت باللغة الإيطالية سنة 1547، لصاحبها أندريا أويرابين، وإدعى الكاتب أن النسخة مترجمة مباشرة عن العربية، لكن المؤرخين أثبتوا لاحقا أن النسخة مترجمة عن الترجمة اللاتينية لروبيرتوس كيتينسس، وتعود أول ترجمة للقرآن باللغة الألمانية إلى الواعظ سولومان سويغار سنة 1616م التي إنبثقت عن الترجمة الإيطالية لأندريا أويرابين، وشكلت بدورها الترجمة الأولى للقرآن باللغة الهولندية التي ظهرت مجهولة سنة 1641م وطبعت في هامبورغ بعنوان "حول القرآن العربي". (Oliver, 2006, p. 667)

درس سويغار في جامعة تينغن، ليشغل بعدها كواعظ في سفارة فيينا بإستنبول، وبقي هناك بين سنتي 1577-1581م حيث تمكن من الحصول على النسخة الإيطالية للقرآن، ليترجمها إلى الألمانية، وضمت الترجمة ما يمكن أن نسميه معادة للإسلام، "فجاء بعد المقدمة فصل مكون من 78 صفحة عنوانه سويغار ب "الكتاب الأول من القرآن"، ولم يحتوي هذا الفصل أي نصوص قرآنية". (Ahmad, 2002, p. 07)

4. القرآن في فكر المنظرين اللاهوتيين الأوربيين 1500-1700:

إن التسامح الديني في أوربا لم يكن معروفا حتى بعد القرن السادس عشر، وقبل هذه الفترة وخلال حكم الإمبراطورية البيزنطية، كان هناك ما يعرف بالشمولية الدينية "إمبراطورية واحدة، قانون واحد، دين واحد" (Alexander, 1952, p. 148)، وشاعت هذه النظرة في كل المذاهب المسيحية حيث كتب لوثر في معلقته: "عندما قال سيدنا و"مخلصنا Lord عيسى [عليه السلام] التوبة" فإنه كان يدعو جميع المؤمنين ليكونوا توبة واحدة". (Henrich Sarah, 1996, p. 250)

رغم أن كل من مارتن لوثر وجون كالفن دافعا عن فكرة "حرية المعتقد"؛ إلا أنهما دعمّا فكرة الرفض للآخر؛ وركزا على فكرة "أن مذهبهم هو مذهب "الخلاص"، كما أن كلاهما أجاز فكرة إعدام الهرطقة. (التعليق رقم 01) واستنتج الصوفي الهولندي جان ولكيرتيسز كورنهارت *Jan Volkertsz Coornhert* سنة 1582، "أن الكاثوليك لم يسمحوا بحرية المعتقد بسبب الدين؛

فأدان البروتستانت الكاثوليك على ذلك؛ لكن البروتستانت فعلوا نفس الشيء معهم". (Haq, 2010, p. 03) وهناك مثال آخر يثبت أن الاختلاف الديني لم يكن مفهوما لدى المسيحيين حتى خلال القرن 16م، ولم يظهر إلا مع مؤتمر ستراسبورغ للسلام 1555م الذي تم الاتفاق فيه على وضع حدّ للقتل الذي يمارس ضد البروتستانت... وأن للملك الحق في تحديد مذهب شعبه، "من ينتمي للمقاطعة؛ فهو ينتمي للدين الذي تتبعه المقاطعة"، بينما يعطي المواطنين الذين لا يرغبون في تبني مذهب ملكهم الحق في التنقل، وإبطال عمليّة الإعدام. (Henry, 1971, p. 155)

كانت الدعاية ضدّ الإسلام تمثل لأغلب الكتاب الأوربيين، عملا متقبلا موجّها لخدمة الرب والوطن، ودحض أكاذيب "الكفار"، وإثبات أن المسيحية هي الدين الحق، فمثلا: "عالم غويلوم غوستال Guillaume Postel في عمله *"Alcorani seu legis Mahometi et evangelistarum concordiae liber"* سنة 1543 الإسلام على أساس أنّه بدعة مسيحية. وتبعه الكاتب بيار بواسديو Pierre Boaistuau في عمله *"Chelidonium Tigurinus"*، مدافعا عن المسيحية ضد ما أسماه "تعاليم محمد الخاطئة"، وكان منطقته "أن من واجب الحكام أن يحموا مواطنيهم من إنتشار الهرطقة، والحفاظ على الديانة الحقّة، وقارن في الأخير بين القرآن والكتاب المقدس، ليدحض فكرة خلوّ القرآن من الأخطاء". (Georgios, 2011, pp. 63, 224)

رّوج لوثر لدراسة القرآن، "فليكون المسيحيون مستعدين حسبته؛ فيجب أن يكون لديهم مواجهة مباشرة مع الاسلام". وتوضح ثلاثة أعمال هذا التفسير: مقدمته لعمل حول ديانة وعادات الأتراك 1530؛ مقدمته للنسخة الجرمانية المترجمة عن القرآن لصاحبها ريكولدو 1542، وكتابه مقدمة النسخة السويسرية للقرآن 1543. إن هذه الأعمال توضح أن لوثر، كان يؤمن أن السكان الأتراك تم تضليلهم من قبل أكاذيب محمد [صلى الله عليه وسلم] حيث كان يأمل أنه مثلما حدث مع الكاثوليك؛ فإن الأتراك سيتحولون في النهاية إلى المذهب البروتستانتي، من خلال تبادل مناظرات دينية صادقة، لكن لوثر طيلة حياته لم يلتقي مسلما ولا تركيا، ولم يكن له سوى معرفة ضئيلة بالديانة الاسلامية وطقوسها.

يرى بيبلايندر في عمله "كونسيلتاسيو" أن: "هناك إله واحد، أكثر حكمة وحقا وعطفا... ولذلك توجد ديانة واحدة هي الديانة الحقيقية تسمى المسيحية". (9/v-10/r.) وفي عمله "أبولوجيا" الذي يعالج إصداره للقرآن، يرى أن القرآن عبارة عن هرطقة؛ وأكد: "يمكن أن نصنف القرآن بالأساس بين المذاهب المبتدعة"، ويضيف: "أخبرنا محمد أن عيسى [عليه السلام] رفع إلى السماء، ولم يقتله اليهود، وهذا خطأ". (Vasiliev, 1952, p. 75)

وجاء واضحا في مقدمة الترجمة اللاتينية للبيبلايندر الخوف الذي كان يعتري الأوربي من "التوسع العثماني" أكثر من خوفه من إنتشار الإسلام، فالكثير من المناطق التي كانت تدين بالمسيحية سقطت في يد العثمانيين وأصبحت مسلمة، ولهذا جاءت المقدمة الخاصة بطبعته للقرآن شديدة اللهجة في مخاطبتها للأتراك "هذا الذئب [التركي] المتوحش عانى بشكل يرثى له لكي يُلطخ فمه بدماء المسيحيين". (Anders, 2015, p. 25)

أشار بولينجر للإسلام في عديد المرات في كتبه، وفي سنة 1567 نشر كتابا أسماه "التركي أو المسلم" *der turgg*. وفي العمل السابق رفض أن يكون القرآن كتابا إلهيا، وإنما مجرد كتاب اخترعه محمد [صلى الله عليه وسلم]. (Reformation und

Islam, 2016, p. 18) وبالنسبة له فإن الإسلام لا يمثل ديانة الخلاص لأنه مهتج وخاطيء في أغلب أجزائه، وقارنه بالمسيحية "الديانة الوحيدة، القديمة، المقدسة والإيمان الثابت الذي استمر من بداية الخليقة، وبدون هذه الديانة لا يمكن لأحد الخلاص، وإختصاراً؛ فإن بولينجر رأى أن الإسلام هو محاولة إختراع ديانة جديدة يتقبلها الناس بسهولة. (Vossberg, 1922, p. 198)

رفض بولينجر أن ينسب القرآن لله، ورأى أنه مجرد قصص ألفها محمد [صلى الله عليه وسلم]، ورفض أن يعترف بنبوة الرسول [صلى الله عليه وسلم]. كما أكد أن محمداً [صلى الله عليه وسلم] زور الوحي وتنبؤاته، وحسبه فإن نبوءة المسيح [عليه السلام] قد تحققت: "أتيت باسم أبي [الرب] فلم تعترفوا بي، في حين جاء أحدهم [محمد صلى الله عليه وسلم] بإسمه فقط واعترفتم به". (Peter, 2009, p. 02)

لم يؤلف زوينغلي أي كتاب حول الإسلام أو العثمانيين؛ لكن أثناء تواجده بيازول قرأ النسخة اللاتينية للقرآن، ليستنتج في الأخير أن الإسلام؛ لا يعدو أن يكون خرافة اخترعها محمد [صلى الله عليه وسلم]. (Reformation und Islam, 2016, p. 17)

وجاءت فكرة "دحض سماوية القرآن" كرمزية مركزية في كتابات أغلب المؤلفين الأوربيين حول الإسلام، "ففي سنة 1616م ألف الواعظ سويغار عملاً أسماه "القرآن التركي، الدين والخرافة"، وظهرت سنة 1698م ترجمة لويس مراتشي اللاتينية بعنوان "القرآن النص الكامل باللغة العربية واللاتينية" *Alcorani Textus Universus Arabicè et Latinè* وأُرفق العمل بملخص عن حياة الرسول محمد [صلى الله عليه وسلم] مع ملاحظات لدحض العقيدة الإسلامية، وليس هذا فقط فالعمل ضمّ إقتباسات عن تفسيرات عربية مختلفة كان الهدف منها تقديم الإسلام إلى أوروبا في أسوأ حالاته". (Oliver, 2006, p. 667) وفي عمله "محمد والزحف التركي" *Mahomets und Türcken* سنة 1664م، حاول ستاشر دافيد إقناع القراء "بالمغالطات التي يحملها الإسلام، وحسبه فإن الكتاب موجه "لأولئك الذين يحاربون ضد الأتراك"؛ لكن نظرة سريعة تجعلنا نطرح تساؤلاً عميقاً، ما عدد أولئك الجنود الذين كانوا يستطيعون القراءة في أوروبا خلال هذه الفترة؟ ويحكي القسم الأول من الكتاب حياة الرسول [صلى الله عليه وسلم]، في الوقت الذي يتناول الجزء المتبقي من الكتاب إثباتات بأن القرآن لا يعدو أن يكون "خرافة". (Ahmad, 2002, p. 17)

لكن رغم الهجوم المستمر على القرآن في أعمال المنظرين والكتاب الأوربيين؛ إلا أن التعمق في دراسة كتابات الواعظ والمفكرين البروتستانت، تثبت تأثرهم بالتسامح الديني الذي استطاع العثمانيون خلقه، ما يظهر خوفهم من الكاثوليك أكثر من المسلمين. راسل الواعظ البروتستانتي إيمريت زيغريوس بمدينة تولنة صديقه ماثياس فلاكيوس بألمانيا، يخبره حول مرسوم السلطان العثماني، ونشر فلاكيوس الرسالة سنة 1550 ليواجه الحكام الجرمان بالمقارنة بين الاضطهاد الكاثوليكي للبروتستانت والكرم التركي نحو الديانة الحقّة حسبه [يقصد المذهب البروتستانتي].

أشار فليب ميلانشون اليد اليمنى لمارتن لوثر إلى ما أسماه التسامح الديني "التركي"؛ ولتوبيخ الكاردينال سادوليتو نظراً لممارساته القهريّة ضد البروتستانت. واستُخدِمَ الأتراك من قبل لوثر نفسه، وقال: أبدو قلقاً من أن يكون الأتراك لهم احترام "للحق"، أكثر من البابا نفسه" (Haq, 2010, p. 07) ورغم أن البروتستانت حاولوا إستمالة الأرثوذكس، للإعتراف بمذهبهم، إلا أن كل

محاولاتهم باءت بالفشل، "بعد تعيين جيريميز الثاني *Jeremias II Tranos* على رأس الطائفة الأرثوذكسية، راسله المنظران البروتستانتين من توبينغن *Tubingen* (مقاطعة ألمانية) جاكوب أندريا *Andrea Jacob* ومارتين كروس *Martin Kraus* حول نظرية اللاهوت المسيحي، حمل الرسالة للبطريك قس بروتستانت إلى السفير الهابسبورغي لدى الباب العالي، لكن جيريميز لم يرق بالرد على الرسالة، ثم قاما بمراسلته مرة أخرى في نوفمبر 1574، ردّ عليهما جيريميز هذه المرة مؤكداً إيمانه الراسخ بوجود اختلافات كبيرة بين المذهبين الأرثوذكسي والبروتستانت... بعدها راسل جيريميز البابا الكاثوليكي مؤكداً له أن "المذهب البروتستانت مذهب هرطقة. (Frazee, 1983, p. 71)

ومع بداية عصر الأنوار إنتقل الكتاب الأوروبيون من النظرة اللاهوتية المتعصبة في قراءاتهم حول الإسلام إلى دراسة الإسلام دراسة عملية، فبالنسبة لجون لوك لا يوجد هناك فرق بين مسيحي، يهودي ومسلم ويجب أن يدخل كلهم تحت حكم الكومنوالث، ورأى لوك أن "القرآن الخاص بالمسلمين، أخذ من قانون سماوي، جاء ليعلم الناس الذين يدينون به... ليمنحهم قوة الفضيلة وتصوراً أخلاقياً". (Matar, p. 284) ويعتبر لوك أول من ساوى بين الفرد المسيحي وغيره من أفراد الديانات الأخرى ليجعل "الإنسان" محور كتابته، ومبطلاً فكرة الرفض للآخر التي غطت أوروبا لقرون.

إستنتج جون ميليتون قائلاً: "ماذا يمكن أن نقول إلا أن الأتراك [المسلمين] يملكون كتاباً مقدساً عظيماً يثبت أن محمداً مخلصهم؛ كما لدينا نحن المسيحيون ما يثبت أن عيسى مخلصنا، إنّي لأعتقد جازماً أن مئات الآلاف من المسيحيين في العديد من البلدان، لا يعلمون الطريق الصحيح للخلاص [الجنة]، إذا كان هناك خلاص [جنة] أصلاً... إن الكلّ يعتقد أن دينه هو الدين الحق ومخلصه، سواء كان يهودياً، مسلماً [Moors] أو وثنياً، ماذا لو كان معتقداً المسيح وكتابنا المقدس مجرد وهم أيضاً؟". ويبدو أن إنجذاب مليتون إلى الإسلام يعود بالإساس إلى إنكاره التثليث وإيمانه بوحداية الله. (John, 1666, p. 87)

05. خاتمة:

إنبثقت عن المقالة السابقة مجموعة نتائج جاءت كالآتي:

- فكرة "الرفض للآخر" كانت فكرة أساسية في كل المذاهب المسيحية، وجعلت من المستحيل تعايش مذهبين مسيحيين في منطقة واحدة، وحتى مؤتمر ستراسبورغ كانت قضية إعدام المسيحي لإختلاف مذهبه أمراً عادياً متقبلاً في المجتمعات الأوروبية.

- رأى المنظرون المسيحيون أن القدرة على نقد القرآن هو القدرة على إظهار الإسلام في أسوأ حالاته ولهذا ظهرت الترجمات ملحقة دائماً بتعليقات نقدية، وعكس النظرة الساخرة للمجتمعات الأوروبية نحو اليهود؛ فإن الأوروبيين أخذوا مسألة الإسلام بجدية باعتبار أنها أصبحت تهديداً للوجود المسيحي خاصة بعد وصول الدولة العثمانية إلى فيينا سنة 1529.

- مع بداية عصر الأنوار ظهر بعض الكتاب المعتدلين في نظرتهم للإسلام، حيث رأوا من الضرورة بمكان التحول من النقد اللاهوتي للإسلام إلى دراسة الإسلام كقانون يمثل قانون المسلم؛ لكن هذا لم يمنع من إستمرار تشويه صورة الإسلام في المجتمع الأوروبي، خاصة مع ظهور علم الإنسان الذي جاء داعماً للإستعمار.

- أثبت القرآن الشرح الذي كانت تعيشه أوروبا الحديثة، ففي العقل الأوروبي اللاواعي كان هناك إقتناع بالتسامح الديني الذي إستطاع العثمانيون خلقه، فالسلطان العثماني أحيط دائماً بممثلي الديانات السماوية "الإسلام، اليهودية، الأرثوذكسية

والكاثوليكية"، ولهذا فلوتر طالما رأى أنّ الرسول [صلى الله عليه وسلم] أقلّ شراً من البابا الكاثوليكي الذي يمثّل الشيطان نفسه، متأثراً بالسياسة العثمانية تجاه الرعايا الأوروبيين.

06. قائمة المصادر والمراجع

- التعليق رقم 01: تعاون جون كالفن مع محكمة التفتيش الإسبانية، لإعدام ميشال سيرفات *Michael Servet*، بسبب إنكاره التثليث.
- Haq, C. A. (2010). Let the Muslim be my Master in Outward Things. *Al-Islam E* ينظر: *Gazette*.
- 9/v-10/r., B. f. (s.d.). *Consultatio*.
- Ahmad, V. D. (2002). History of the Translation of the Meanings of the Qur'an in Germany up to the Year 2000, A Bibliographic Survey. *Revue of the qu'ran studies*, 03.
- Alexander, V. (1952). *History of the Byzantine Empire, 1324-1453*. Wisconsin: Wisconsin University Press.
- Anders, I. (2015). *Writing the Ottomans Turkish History in Early Modern England*. London: PALGRAVE MACMILLAN.
- Angela, N. (1990). A Lost Arabic Koran Rediscovered. *The Library*, 04.
- Bosworth, C. E. (2006). The Study of Islam in British Scholarship. *Mapping Islamic Studies: Genealogy, Continuity and Change*, 38.
- David Thomas, J. C. (2014). *Christian-Muslim Relations a Bibliographical History, Western Europe (1500-1600)*. Leiden: Brill.
- Frazer, C. (1983). *Catholics and Sultan, The church and the Ottoman Empire 1453-1923*. London: Cambridge University Press.
- Georgios, D. (2011). Pierre Boaistuau (C. 1517-1566) and The Employment of Humanism in Mid Sixteenth-Century France. PHD: University of Birmingham.
- Grace, M. (2010). *Pedro de Valencia and the Catholic Apologists of the Expulsion of the Moriscos*. Leiden.
- Henrich Sarah, B. J. (1996). *Martin Luther—Translations of Two Prefaces on Islam: Preface to the Libellus de ritu et moribus Turcorum (1530), and Preface to Bibliander's Edition of the Qur'an (1543)*. London: Word & World.
- Henry, C. (1971). *Government in Reformation Europe, 1520-1560*. London: McMillan.
- John, B. (1666). *Grace Abounding to the Chief of Sinners, or The Brief Relation of the Exceeding Mercy of God in Christ to his Poor Servant John Bunyan*. George Larkin.
- Luther, M. (1529). "On war against the Turk.
- Matar, N. (s.d.). Islam in Britain, 1689-1750". *The English Historical Review*, 47, 2008.
- Oliver, L. (2006). *The Qur'an: an encyclopaedia*. Great Britain: Routledge.
- Peter, S. (2009). Understanding Islam- in the Light of Bullinger and Wesley. *Evangelical Quarterly*, 81.
- Reeves, M. (2000). *Muhammad in Europe: A Thousand Years of Western Myth-Making*. New York: New York University Press.
- Reformation und Islam*. (2016). Hannover: EKD.
- Ryer, A. D. (1647). *L'Alcoran de Mahomet Translate D'Arabe en Francois*. Paris: Antoine De Sommaville.

Vasiliev, A. (1952). *History of the Byzantine Empire, 1324-1453*. Wisconsin: Wisconsin University Press.

Vossberg, H. (1922). *Luthers Kritik aller Religion*. Erlangen.